

تغيرات البول في امراض البلدان الحارة

عنوان كتاب جديد باللغة الفرنسية للدكتور يوسف خوري الكبياري المعروف بالاسكندرية فاجبت ان اوافي قراء المختص بكلمة عنهُ على قدر ما يسمع مجال المجلة وتمدد مباحثها

ان لبول البشري تاريخاً لو اردت ان آتي عليه لظال بي الشرح وجاوزت الغاية من هذه السطور على ما هناك من اشياء تزد القاريء معرفتها فان تحليل البول بالطرق العلمية لم يبدأ الا في اواخر القرن التاسع عشر والطب قديم كما نعلم فقد آتى على الانسان ٢٣٠٠ سنة كان البول فيها في اوج عظمتهِ يُعرف منه ما شاء التعود والخيال او العقيدة والايمان ولم يكن للطبيب من وسيلة تسهل له معرفة العلة وتساعدهُ على تشخيص الداء لان الطرق المستعملة اليوم لتفحص كالتسمع والتفرغ وقياس الحرارة وغير ذلك كانت مجهولة ولم يكن من اثر لعلم التفرغ وعلم وظائف الاعضاء فلم يبق الا هذا السائل العجيب ليهتدي به الطبيب

وكم يحترف لهذه الصناعة بلغ من الشهرة في ذلك العصر شأواً بعيداً فكان محجة القصاد يؤمونه من كل صقع وتندر او بالاحرى يبعثون اليه بقرارير البول المختلفة مما تضيق به داره ويضد الهواء بخاره وهو يحاول ان يقرأ فيها اسرار الداء ويتكشف خبايا الدواء من غير ان يتسنى له فحص المريض او رؤيته على الاقل واذا لم تكن نتيجة هذه المعالجة قتل المريض فلان العقاقير لم تكن سامة على الغالب وكانت الطبيعة وحدها تتكفل بالشفاء

ولا بدع ازاء هذا الدور الذي مثله البول في الطب ان تشتغل به قرائح ذلك الجيل من شعراء ومعمورين فانك لا تكاد تجد صورة طبيب لذلك العهد غير حامل بيده اناء من البول ينظر اليه نظرة الباحث المستفهم . وهناك غير واحد من الحفارين مشن الطبيب وقدرورته على هام جدران الكنائس . وكثير من الرهبان في وحدة الاديرة اطلقوا اصنة اقلامهم في وصف الطبيب وما حمل . وكم اخرجت مدرسة « سالرن » عن نظم قلائد الاشعار في هذا الموضوع الغريب عن كل شعر . اما اليوم فقد تغيرت الحالة كل التغير وبعد ان كان الطبيب يستند الى

ظواهر البول ويبنى تشخيصه على اختلاف اللون والرائحة والكثافة وبلتحيء الى وسائل غريبة في بابها كحاولته معرفة السكر في البول من عدد التخل الذي يتراحم عليه فتح له العلم الحديث باباً واسعاً للبحث فاهتدى بالكيمياء والمكروسكوب الى تحليل البول وكشف العناصر والاملاح التي يتركب منها على نسب مختلفة ومعرفة الاسباب والاحوال التي تؤثر فيه كما وكيفا

وقد تعددت المؤلفات الحديثة في هذا الشأن وافاض العلماء في ذكر التأثير الذي تحدثه الامراض في البول على الاطلاق ولكن البحث في تأثير امراض البلاد الحارة خصوصاً لم يزل ناقصاً. ولولا رسائل ومثالات مبشرة في الجرائد والمجلات الطبية لقلنا ان الموضوع ابن اليوم. على انه يحق لنا ان نقول ان كتاب تغيرات البول في امراض البلاد الحارة هو الاول من نوعه فقد قيّد المؤلف اوابده وجمع شتاتة وانا في معلوماته الخاصة وخبرة عشرين سنة قضاه في هذا القطر لقاء واقياً يخفف عن القارئ عناء البحث الطويل

ولا يتوهم القارئ عماراً اننا بلغنا الغاية من فحص البول وان هذا العلم قد اعطانا كل ما في امكانه وانه بواسطته فتحت علينا مغاليق الطب وكشفت اسرار الامراض. كلا فانا لم نزل في طفولته ولكن من يقابل بين الزمن الماضي والحين سنة الاخيرة ويرى كيف درج هذا الفن من عشو لا يقطع الرجاء ان يرى يوماً افتقاً جديداً واسعاً لم نكد نحلم به. على كل حال فان الفائدة التي نجبها اليوم من وراء فحص البول هي عظيمة في بعض الاحوال وعلى الطبيب ان يعنى به كما اتبع له ذلك فان الاسباب الثلاثة التي يأخذ بها الطبيب لتشخيص الداء وهي المشاهدة الاكلينيكية وفحص الدم وفحص البول تتماسك على وجه تبطل معه الفائدة اذا اهل احدها. وكما انه في بعض الاحوال يكون فحص الدم في المقام الاول من الاهمية ففي احوال اخرى تنتقل هذه الاهمية الى البول. خذ مثلاً عن ذلك خراج الكبد فقد جاء زمن حسب فيه فحص الدم من لوازم التشخيص لانهم عدوا تكاثر الكريات البيضاء نتيجة لازمة للداء. ثم عرف بالبحث ما في الامر من المبالغة وقد قدم مؤلف هذا الكتاب تقريراً الى جمعية باريس البيولوجية اظهر فيه ان تكاثر كريات الدم البيضاء ليس امراً ثابتاً في خراج الكبد ولا يمكن ان يتخذ وسيلة للتشخيص لان هذه الكريات قد تبقى احياناً على حالها واهيئاً تنقص

تقصاً محسوساً مما يضيع به الطبيب بدلاً من ان يهتدي. لا تقعد بذلك أنت
 لخص البول بمد النقص ويعيط اللثام عن خافي هذه العلة فالتعميم تصرع لاسوع
 لة وتغيرات البول في امراض الكبد تتشابه الى درجة لا يمكن معها التصريح في
 الحكم دون الوقوع في خطأ. مع ذلك وجد الباحثون ان للبول تغيرات خصوصية
 في تقيح الكبد لا تخلو من العبرة منها نقص في افراز البولينا (urée) في حين
 ان المؤلف زيادة الافراز لا تقصه نظراً لارتفاع الحرارة والافراط في تغذية المريض.
 وقد برهن مؤلف هذا الكتاب ان النقص في افراز البولين لا يأتي في اول الداء
 بل عند ما يميب التقيح كل نسيج الكبد. ولا يخفى فائدة هذه الملاحظة لانها
 تشجع الطبيب المعالج على اجراء العملية الجراحية حينما يكون على ثقة ان العلة
 لم تزال في بدايتها ونجاح العملية أكيد. ومن هنا ترى ان لخص البول لا تنحصر
 فائدة في التشخيص بل تتناول الاذار فيستدل منه على سير العلة ومصيرها
 وفي الكتاب المذكور امثلة عديدة على ما بيننا منها الحمى الصفراوية النزفية
 التي انتشر وباءها في الاسكندرية سنة ١٩٠٢ فقد قدم المؤلف عنها تقريراً الى
 المؤتمر الطبي المصري ذكر فيه بين تغيرات البول نقص البولينا حتى انه في بعض
 الاحيان كانت كميته لا تزيد عن ٣٨ سنتجراماً ثم تبلغ عندما يتجه المريض نحو
 الشفاء ٧٢ جراماً فتأمل. وزد على ذلك ان مكروب الداء موجود في البول
 ويسهل الوصول اليه بالطرق العلمية

ومنها البلهارسيا المعروفة فان وبصاتها توى بكثرة في بول المصابين بهذا
 الداء. كذلك يمكن الباحث ان يرى في البول جراثيم الفلادوبوز ومكروب الحمى
 المالطية واحياتاً بأشلس البرص الى آخره.

ويطول بنا الشرح اذا اردنا ان نبحت عن كل ما يسبب البول من التغيرات
 في امراض البلاد الحارة فنضطر الى ترجمة الكتاب ونحن لم تقعد إلا التويه به.
 ومع شكري لمؤلف على ولوجي هذا الموضوع وهو في مكان بعيد عن الحركة
 العلمية بتعذريه المطالمة والرجوع الى المصادر التي لا غنى عنها لمن يحارل تأليفاً
 مثل هذا ذاتي ارجو منه ان لا يقف عند هذا الحد بل يتوسع فيما بدأ به ويعلل
 في الطبعة التالية التراخي الذي لا مناص من وقوعه في اول كل عمل وذلك خدمة